هندسة الدّرس اللّساني لدى العلامة عبد الرّحمن الحاج صالح من خلال كتابه : " السّماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة"

د. يوسف بن نافلة
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)

تاريخ الإيداع: 2018/04/23 تاريخ النشر: 2019/12/01

الملخص :

تناول هذه الورقة البحثية الحديث عن قامة من قامات العلم ،وعلوم اللسان عبد الرحمن الحاج صالح الملقب بـ(إمام اللّسانيين) ،و(أبو اللسانيات)وقد حاولت في هذه الورقة تفصيل القول في مكانة هذا الرّجل العظيم ،وجهوده في خدمة لغة القرآن الكريم ، وعلوم اللسان وذلك من خلال كتابه النفيس (السماع اللّغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة)،متحدثا عن حياته في سطور ،ثم أصول البحث العلمي في التراث اللغوي كما يجب أن تكون في نظر البروفيسور عبد الرحمن الحاج صالح رحمه الله تعالى ،ثم قراءة وصفية تحليلية لأبواب الكتاب وهي على النحو الآتي :

1-الباب الأول :العربية ومعيارها اللّغوي :محاولة تحديده بمقاييس موضوعية .

2-الباب الثاني :اللغة العربية وأسطورة (اللغة المشتركة الأدبية) بإزاء اللهجات العربية.

3-الباب الثالث :السمـــــاع اللغوي .

4-التحريات اللغوية الميدانية ومناهجها ./المشاهدة المباشرة :كيف تمّ السماع من أفواه العرب.

المقدّمـــــة :

من المتّفق عليه لدى معشر اللّغويين واللسانيين ،وجهابذة الفكر ،وأساطين العلم أنّ الدرس اللساني عامل من عوامل التحديث ،لا عامل تهديم ،ونوع جديد من أنواع الدراسة اللغوية ،يرتكز على وسائل ومناهج حديثة تساهم في تطوير مباحث علوم اللغة المختلفة ،وقد قامت دراسات جادة أسهمت في إثراء اللسانيات العربية أمثال جهود الدكتور تمام حسان في (اللغة العربية معناها ومبناها) ،والدكتور عبد السلام المسدي في (التفكير اللساني في الحضارة العربية) ،والعلامة عبد الرحمن الحاج صالح الجزائري في مصنفاته المتعددة ،وغيرهم من أقطاب الدراسات اللسانية العربية .

وقد شدّ انتباهي كتاب (السماع اللغوي العلمي عند العرب ،ومفهوم الفصاحة) للدكتور عبد الرحمن الحاج صالح ،وما يحتويه من تأصيل للدرس اللغوي عند العرب ،ذلك أنّ علماء اللغة العرب هم أول من قام في التاريخ بتدوين اللغة ،وجمعها بالسماع المباشر في عين المكان للناطقين بها ،وقد تعرضوا لأغلب قبائل العرب ،وكان ذلك على مراحل ،وعلى مقياس فصاحة أفرادها .

أما الإشكال الذي أرغب في طرحه في هذه الدراسة فيتمثل في ألآتي:

-فيم تكمن أصول البحث العلمي في التراث اللغوي اللساني كما فهمه العلامة عبد الرحمن الحاج صالح؟

-وما دلالة مصطلح الفصاحة عند اللغويين في القرن الثالث وما بعده ؟

-ما هي المقاييس المكانية والزمانية للفصاحة السليقة؟

-وما المقاييس الصورية اللسانية للفصاحة ؟

-ما محتوى السماع اللغوي ،وما مميزاته ،وسماته لدى العلماء العرب؟

-ماهي المعايير الدقيقة للتحريات اللغوية الميدانية ،ومناهجها التي اتبعها اللّغويون العرب ؟

التعريف بالعلاّمة مهندس الدّرس اللساني عبد الرّحمن الحاج صالح :

ولد عبد الرحمن الحاج صالح سنة 1927م بولاية وهران ،درس في المدارس الجزائرية إبان الاحتلال الفرنسي للجزائر ،وفي الوقت نفسه كان يتلقى دروسا بالعربية في إحدى المدارس الحرة التي أنشأتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .

اختار عبد الرحمن الحاج صالح بعدها دراسة الطبّ ،فتوجّه عام 1954م إلى جمهورية مصر العربية لدراسة التخصص في جراحة الأعصاب ،وكان وقتها يتردد على جامع الأزهر ،ويحضر بعض دروس علوم اللغة العربية مما جعله يغوص في أسرار ،وعبقرية هذه اللغة ،وانتسب إلى كلية اللغة العربية،غير أنه لم يتمكن من إكمال دراسته بمصر ،فالتحق بجامعة بوردو بفرنسا ،ثم بالمملكة المغربية حيث قام بتدريس اللسانيات بكلية الآداب بجامعة الرباط ،وحصل على شهادة في العلوم السياسية من كلية الحقوق ،كما درس الرياضيات في كلية العلوم بالرباط في المغرب .

وفي عام 1968م أصبح عبد الرحمن الحاج صالح أستاذا زائرا بجامعة فلوريدا بالولايات المتحدة الأمريكية ،وفي عام 1979تحصل على شهادة الدكتوراه في اللسانيات من جامعة السربون بفرنسا .

-في عام 1964متم تعيينه مديرا لمعهد اللسانيات والصوتيات بجامعة الجزائر ،وأنشأ (مجلة اللسانيات)،ثم انتخب عميدا لكلية الآداب حتى سنة1968م.

تفرغ بعد ذلك للدراسة والبحث في اللسانيات ،حيث أنشأ عام 1980م مشروع ماجستير في علوم اللسان ، قبل أن يتم تعيينه عضوا مراسلا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ،ثم انتخب عضوا دائما به سنة 2003م.

وعُيّن قبل ذلك عضوا في كل من مجمع اللغة العربية بدمشق سنة 1978 م،ومجمع بغداد سنة 1980م،ومجمع اللغة العربية بالأردن سنة 1984م ،كما كان عضوا في عدة مجالس علمية دولية .

وفي عام 2000م تم تعيين عبد الرحمن الحاج صالح رئيسا للمجمع الجزائري للغة العربية ،إضافة إلى عمله أستاذا ،وباحثا في جامعة الجزائر ،كما شغل أيضا منصب رئيس اللجنة الوطنية لإصلاح المنظومة التربية في الجزائر ،وترأس مشروع الذخيرة اللغوية العربية الذي أسسه .

بالإضافة إلى رصيده العلمي ،والمعرفي ،شارك الدكتور الحاج صالح في النضال ضد الاحتلال الفرنسي ،فالتحق بحزب الشعب الجزائري وعمره لا يتجاوز خمسة عشر سنة .

تحصّل عبد الرحمن الحاج صالح على العديد من الجوائز ،من بينها (جائزة الملك فيصل) عام 2010م تقديرا لجهوده العلمية المتميزة في تحليليه للنظرية الخليلية النحوية ،وعلاقتها بالدراسات اللسانية المعاصرة ،ودفاعه عن أصالة النحو العربي ،وجهوده البارزة في حركة التعريب.

توفي رحمه الله تعالى يوم الأحد في السادس من جمادى الثانية 1438هـ الموافق للخامس من شهر مارس 2017م بمستشفى عين النعجة بالجزائر العاصمة ،عن عمر ناهز التسعين سنة (90) ،وقد نعاه فخامة رئيس الجمهوري عبد العزيز بوتفليقة .في رسالة أثنى فيها على الرجل وخصاله الحميدة ،واعتبره قامة في علوم اللغة واللسانيات [1]

من آثاره :

1-بحوث ودراسات في اللسانيات العربية (في جزئين)

2-بحوث ودراسات في علوم اللســـــان.

3 -البُنى النحوية.

4-السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة .

5-كتاب الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية.

6-الصوتيات : (مخطوط)

7-منطق العرب في علوم اللّسان.

الدّرس اللّساني في (السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة) للدكتور :عبد الرّحمن الحاج صالح :

إنّ هندسة الدرس الصوتي لدى الأستاذ العلاّمة عبد الرحمن الحاج صالح تتمثل ف يجملة من الخصائص يمكن إجمالها

على النحو الآتي: :

1-تحقيقه لدعائم البحث العلمي الأكاديمي :المتمثلة في إجابته عن الأسئلة الأربعة المتعارف عليها لدى معشر الباحثين والأكادميين :

أ-عمّ أبحث ؟

والمراد به المجال المحدد في البحث العلمي (نحو،أو صرف ،أو دلالة ،أو بلاغة ،أو لسانيات .....الخ)

والعلامة عبد الرحمن الحاج صالح على ما يبدو أن بحثه يندرج ضمن مجال اللسانيات ،والفصاحة

ب- فيم أبحث؟ أي تحديد المدونة (الكتاب)

والدكتور الحاج صالح مدونته هي السماع اللغوي عند العرب ،ومصادر جمع اللغة ،والتحريات اللغوية الميدانية ،ومناهجها ،المشاهدة المباشرة ،وكيف تم السماع من أفواه العرب.(أي نقل اللغة)

ج-أين أبحث ؟ المراد بذلك المادة العلمية لدى الباحث

والأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه هذا مادته غزيرة .

د-كيف أبحث ؟المراد بذلك المنهج المتّبع في البحث العلمي

ومنهج الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح هم منهج وصفي ،وتاريخي ،فوصفي لأنه اعتمد على وصف ظاهرة السماع اللغوي العلمي عند العرب ،وكذا مفهوم الفصاحة كما فهمها العرب .،أما المنهج التاريخي لأن الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح تتبّع الظاهرة تاريخيا

كل ذلك اعتمادا على التحليل ،والتعليل ،والنقد ،والتدقيق ،والتمحيص ..

2-فقه التراث اللغوي العلمي عند العرب :

فالذي كان يقصده العلامة عبد الرحمن الحاج صالح من التراث اللغوي العلمي هو ما تركه لنا العلماء العرب القدامى من أعمال جليلة انطلقت كما هو معروف من دراسة القرآن الكريم للحفاظ على لغته ،ذلك بطريقة علمية ،وهو الاستقراء للنص القرآني ،واخترع نظام من الإعجام ،والنقط ،لتصحيح القراءة ، قد ظهر هذان

العاملان معا ،وأحسّ هؤلاء الباحثون حينئذ بضرورة الرجوع إلى كلام العرب لنزول القرآن بلغتهم ،ولمواصلة ما أبدعوه من هذا هذه الطريقة الموضوعية فشرعوا في السماع المباشر من أفواه العرب.وقد حصل هذا السماع أيضا بطريقة علمية ،فالذي كان يقصده الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح من هذه الدراسة الأولى هو التثبّت من ذلك بالنّظر المتأني فيما قاموا به من السماع ،وتسجيل ،وتدوين ،وكيف تم ذلك ،وأراد أيضا دراسة الجانب الأهم من التراث العربي المتمثل في الأصول العلمية التي امتازت بها علوم اللسان عند العرب عن غيرها ،غير مقطوعة الصلة عما ظهر في زماننا من النظريات العلمية في العلوم اللسانية [2]

3-أصول البحث العلمي في التراث اللغوي كما يجب أن تكون في نظر عبد الرحمن الحاج صالح:

لقد اعتمد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في تحرير دراسته على مجموعة من الأصول يعرضها على القارئ مع بعض الأمثلة قصد توضيحها أكثر وتتبيّن فوائدها ،والذي حمله على اعتماد هذه الأصول هو ما لاحظه عند الكثير من معاصرينا من العرب ،ومن غيرهم كميلهم إلى الاكتفاء بما يقوله المتأخر عن المتقدم ،والتهاون بما قاله المعني بالأمر نفسه ،والاقتصار بما رُوي عنه ،وعن مذاهبه ،وأفكاره ،ولو بعد قرون ،كل هذا مع وجود النص الأصلي،ومثّل لذلك بما ألفه أبو البركات بن الا،باري في كتابه (الإنصاف في مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين)[3]

4-ما يتعلق بالرواية ومدى ثقة الباحث فيها :

لقد حدّد الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح جملة من المعايير تتعلق بالرواية يمكن ذكرها على النحو الآتي :

-ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل هو نفسه أي إلى نص قوله أو أقواله مما وثق ،والامتناع البات من الاكتفاء بما رُوي عنه ،وإلاّ فلا من الاعتماد على ما رواه عنه أصحابه الذين سمعوا منه مباشرة .[4]

-ضرورة الاعتداد في التصديق لمايُروى من الأحداث ،ومن الأقوال بأن يكون (من أكثر من وجه) أي بالروايات الصادرة من مصادر مختلفة لا تكون منقولة بعضها عن بعض ،والرفض لكل ما ينفرد به راو إذا خالف بذلك كل الروايات الأخرى أو خالف أقوال المعني بالأمر أو أفعاله.[5]

-ضرورة الاصطفاء للمصادر وتتخيّر ما أجمع العلماء قديما وحديثا على صحته ،وعدم الخلط بين الكتب العلمية ،وبين الكتب الشبه العلمية.

-الرفض لكل مصدر كمرجع للرواية يتّضح أنّ أكثره كذب ،وافتراء متعمّد ،ولو وجد فيه بعض ما روى في غيره.

-ضرورة تقديم النصّ الأصلي لقول قائل قائل على شرحه في محاولة فهمه ،ومعنى ذلك أنه لابدّ من أن يُبدأ بالنص الأصلي قبل النظر في شروحه ،والامتناع من الاكتفاء في فهم هذا القول بما جاء بعده من شروح الشارحين .[6]

-التمسك بمبدأ التصفّح الكامل للنص الواحد ،أو لعدة نصوص ليتمكن الباحث من إدراك المقصود الحقيقي في استعمال صاحب النص لألفاظ خاصة ،أو للتعليق ،أو الحكم على قول من أقواله .

-الاعتماد بعد هذا التصفح الكامل للنص على طريقة تحليلية استنباطية ترمي غلى استخراج لا المعاني الوضعية لألفاظ النص بل المعنى المقصود من كل لفظة في كل النص . ويسمي الطريقة التي استخدمها لهذا الغرض بالمقارنة القياسية الدلالية .[7]

-الاعتداد الجدّي المستمر بعامل الزمان في تحوّل رؤية العلماء ،وتصوراتهم ،ومفاهيمهم ،وما يحصل بالتالي لمصطلحاتهم حتى في النحو ،واللغة من تحول معانيها .

--ضرورة التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية الحديثة إذ لا يجوز أن تقبل أي نظرية كليا أو جزئيا إلا كآراء وافتراضات خصوصا إذا استخرجت من النظر في لغة أوروبية ،وذلك تفاديا للتخليط بين المفاهيم العربية القديمة ،وبين ما ظهر من الأفكار ،والمناهج في اللسانيات الحديثة بل وتفادي إسقاط هذه الأخيرة على الأخرى وجعلها أصلا ،والأخرى فرعا عليها.[8]

5- تحديده للمعيار اللغوي للغة العربية :محاولة تحديده بمقاييس موضوعية :

ويلخص تلك المقاييس في الآتي :

أ- تحديد مفهوم الفصاحة كمقياس هي في ذاتها.(مصطلح نحوي لغوي):

ذلك أنّ اللّغة وضع واستعمال أي نظام ،واستخدام لهذا النظام :فاللّفظ ،والمعنى شيئ في الوضع ،وشيء آخر في الاستعمال .وبالنسبة للمعنى خاصة فإن للفظ مدلولا تحده المعاجم ،وقد لا يكون هو المقصود في نص من النصوص ،ولاسيما النصوص العلمية القديمة في تراثنا ولا يمكن أن يعرف ذلك بالحقيق إذ لا توجد قواميس لكل المصطلحات العلمية القديمة تصف كل ما قصده العلماء بدقة ،واستضافة ،وبحصر كلّ الأمثلة .[9]

بعدها فصّل الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح الحديث في تحديد مفهوم الفصاحة لدى النحاة الأوائل ،وثم تحديد مفهوم الفصاحة الذي قصده هؤلاء العلماء النحاة أنفسهم ،ثم تطرق إلى ما يدل عليه هذا اللفظ في اللغة من جهة ،وعند علماء البلاغة القدامى من جهة أخرى ،ثم شرع في الكشف عن كل الوحدات الدلالية للمفردات المشتقة من مادة (ف.ص.ح) بحسب ما تقتضيه السياقات التي وردت فيها هذه العناصر اللغوية

اعتمادا على طريقة المقارنة (أو المقايسة) الدلالية بين هذه السياقات بحمل بعضها على بعضها لاستنباط المعاني المقصودة بالفعل بذلك التناظر للنصوص ،او السياقات بالذات ،وهذه الطريقة تنتمي إلى ما يعرف ب(التحليل البنوي للمدلول) ،واستشهد بعدها بنصوص سيبويه أولا ،وكتب من عالج مسائل البيان مثل الجاحظ وغيرها من العلماء) .[10]

وتوصل العلامة عبد الرحمن الحاج صالح إلى نتيجة مفادها أنّ مصطلح (الفصاحة)وما يشتق منه كان يقصد منه عند النحاة و اللغويين في زمان سيبويه المدلولات الآتية :

-صفة مَن تُرضى عربيته :أي كون الناطق العربي الفصيح (تُرضى عربيته ،ويوثق بلغته ،ويؤخذ بها) ،ويتم ذلك باستيفاء ما يأتي :

-السلامة اللغوية .

-الاستعمال الكثير المشهور المعروف من كلام الفصحاء .

-السليقة الخاصة بالفصيح .

ب-المقاييس المكانية والزمانية للفصاحة السليقية (أو ما يعرف برقعة الفصاحة ،والفترة الزمانية المحددة):

يشرح الأستاذ عبد الرحمن بإسهاب المرجع الزماني المكاني الأساسي للفصاحة السليقية ،يذكر أنّ فصحاء العرب هم الناطقون بالعربية الذين لم تتغير لغتهم بالنسبة الفصحاء ،وأخذت منهم اللغة ،واعتنى النحويون ،واللغويون الذين قاموا بذلك بالتمييز الصارم بين ما كان كثيرا في الاستعمال يعرفه جميع العرب ،وهو الجزء الأكبر مما دوّنوه ،وبين ما كان يعرفه ،ويستعمله أكثرهم أو لأقلهم ،والذين قامو بذلك هم الفصحاء الذين شافهوا مباشرة هؤلاء العرب بل وقضوا جلّ حياتهم في وسطهم .وإن كان يمكن أن لا نثق بأحدهم فإنه لا يعقل لأن يشك أي واحد في صحة ما نقلوه إلينا إذا اجمعوا على ذلك [11]

ويؤكّد الأستاذ الحاج صالح على أنه يجب الانتباه في هذا الموضوع إلى ثلاث حقائق هي :

-لم تكن الفصاحة مقصورة في القرنيين الأول والثاني على أهل البدو.

-لم تكن الفصاحة على القدامى من العرب .

-لم تكن الفصاحة مقصورة على العرب الأقحاح.

ج-المقاييس الصورية اللسانية للفصاحة [12]:ويجمل الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح تلك المقاييس في معرفة الباحث اللغوي لغير الفصيح هو أن يكون قد ولد ونشأ في بيئة فصيحة ،وهذا لم يكن ليصفو تماما للباحث إلا إذا وُجدت بالفعل هذه البيئات غير الفصيحة التي يغلب عليها اللحن ولم يحصل ذلك إلا بعد زمان ليس بالقصير خلافا لما يظنه الكثير في زماننا ، وأنّ القرى كان أكثر سكانها حتى نهاية الدولة الأموية من العرب ،ولا سيما المدن التي بناها المسلمون ،وإن بدأ اللحن يظهر فيها بحكم اختلاط العرب بغيرهم فيها ،فجزء كبير من هؤلاء الذين نشأوا في الحضر قد استشهد النحاة واللغويون بكلامهم .[13]

6-ما كان يقصد من كلمة لغة في زمان سيبويه :

ويستشهد بما يقوله سيبويه في أقدم كتاب في النحو المعروف بقرآن النحو (الهمزة إذا كانت مبتدأة فمحققة في كلّ لغة) 165/2.[14]

(وذلك في لغة جميع العرب إلا أهل الحجاز كسر حروف المضارعة مثل تعلم)256/2.

(فكل هذا فيه اللغة المطردة إلا أما أنا لم نسمعهم قالوا إلا استروح إليه ،أغلبت ،واستحوذ) 362/2.

(وهذه قليلة وأجود اللغتين ،وأكثرهما أن لا تلحق حرف المدّ في الكاف) 296/2

(،إعرب اللغتين ،وأجودهما أن لا تقبلها تاء فعلت ،وافتعل إلى طاء) 423/1

(...ونظير هيهات ،وهيهات في اختلاف اللغتين قول العرب :استأصل الله عرقاتِهم ،واستأصل الله عرقاتَهم) 48/2.

7- وقوع التفاهم ،وحقيقة اللهجات العربية :

وقد استشهد في هذا الموضوع بقول الجاحظ في البيان والتبيين 162/1.

وابن جني في الخصائص 26/2-27، والخصائص 386/1-387/3.[15]

8- شرحه لقول سيبويه ،وزملائه :ومثل ذلك في القرآن الكريم ،أو الشعر العربي ،أو كلام العرب .

وكذا اللغات في الشعر العربي ،وفي القراءات .

والتخاطب بالفصحى قديما ،وأقوال المستشرقين ..،وموقف علماء القدامى من العربية وتعاملهم معها .

-كانت العربية تكون لسانا واحدا مع تنوّع محلّي ،وغير محلّي [16]:

يذكر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أنّ المستشرقين كانوا يعتقدون أن ما يسمى بالعربية كانت عبارة عن لغة شعرية مشتركة بين العرب ،وبها نظم الشعر الجاهلي والإسلامي ،وكانت هذه اللغة المشتركة بنيت كما زعم أكثرهم على لهجات نجد ثم كانت لغة القرآن الكريم وهي من جنس هذه اللغة الأدبية ،ومن هاتين اللغتين تفرعت (العربية الفصحى) .[17]

9- فقه الأدلة الإحصائية :والمتمثل في الآتي :

-اللغات في القرآن الكريم :

أ- المستوى الإفرادي .

ب- المستوى الصرفي النحوي من لغات القرآن الكريم .

-إحصاء اللغات في لسان العرب ،وما جاء في كتاب(لهجات الفصحى)من الوحدات اللهجية .

-توافق البنية التركيبية باطّراد :بين لغة التخاطب القديمة ،ولغة القرآن ،ولغة الشعر .

- إحصاء أهم التنوعات الصوتية في اختلاف الأداء ،ومدى اتساع ذلك

-النظام الصوتي العربي ،وتنوعاته الفصيحة .

-التنوع الصوتي في الأنظمة الصرفية.[18]

10-فهمه للسماع اللغوي العلمي عند العرب :

وهذا يشمل الآتي :

-محتوى المسموع وخصائصه .[19]: ذلك أن المدونة اللغوية التي اختصت بها اللغة العربية وهي ما يسميها القدامى (بالمسموع) أو السماع كاسم ،وهي أعظم مدوّنة لغوية شهدها تاريخ البشرية ،وأن القبائل العربية التي أخذت منها اللغة كانت تغطي شبه الجزيرة كلها في الجاهلية .(المرجع نفسه ص 251)

-مقاييس الصحة لمحتوى المسموع:. يعتمد اللسانيون الغربيون في نظر عبد الرحمن الحاج صالح في وصفهم العلمي للغات على ما يسمونه بالمدونات اللغوية(Linguistic Corpus) وهي عبارة عن مسموع مسجل يتكون من كلام تكلم به بعض من يمثل حق التمثيل اللغة المراد وصفها ،وأن االبنويين من اللسانيين الغربيين يحددون

مفهوم المدونة اللغوية على أنها مجموعة من النصوص جُمعت في مكان معين وزمان معين بغية وصفها الوصف العلمي من الناحية اللغوية .[20]

-المقاييس التاريخية لصحة الرواية (دواوين الشعر الجاهلي /مصادر الأشعار في كتب اللغويين والنحويين[21] .

-مناهج توثيق النصوص عند النحاة العرب ،وتحقيقها .[22]

-المسموع والشواهد الشعرية والنثرية :الدليل الساطع على اتساع المادة اللغوية التي نظر فيها النحاة .[23]

-اعتماد النحاة على النثر أكثر من اعتمادهم على الشعر .[24]

-سماع الكوفيين من كلام العرب المنثور .[25]

-السر في اعتماد النحاة أكثر على كلام العرب.[26]

11-التحريات اللغوية الميدانية ومناهجها / المشاهدة المباشرة :طريقة السماع من أفواه العرب (خصائص نقل اللغة وشروط الناقل)[27]

ويندرج تحت هذا الباب المباحث الآتية :

أ-أصحاب التحريات ،والسماع من اللغويين من البداية إلى القرن الرابع [28]

ب-البيئة الطبيعة الخصبة للتحريات وأوصاف المساهمين فيها [29] :ويندرج تحت ها المبحث :

-مناطق السماع وأماكنه .

-المنطق الهامة .[30]/أماكن اللقاء الخاصة .[31]

12- أهمية العنصر البشري في التحريات الميدانية [32]:ويشمل هذا المبحث الآتي :

-صفات اللغوي المتحري،وأوصافه .[33]

-المُورد :أوصافه ،وشروطه .[34]

-انقسام الموردين إلى معتمدين وعارضين وإحصاء الصنف الأول.[35]

13-منهجية التحري اللغوي الميداني ،وتقنياته [36]ويندرج في هذا العنصر الآتي:

أ-موقف المتحرين عند سماعهم اللغة في الأخذ والترك ،وما منهجهم في ذلك .[37]

ب-أغراض التحري [38] :

يشرح الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هذه الأغراض بأن الذي كان يهم المتحري مثل سيبويه ،وشيوخه ،والأصمعي ،وزملائه هو قبل كل شيء فصاحة المورد ..حتى أن سيبويه كان يقول في كتابه :(سمعت ممن ترضى عربيته)،أو قوله:ا(الموثوق بعربيته)

ج-السماع ملازم له الإحصاء عند القدامى .[39]انطلاقا من القاعدة المتعارف عليها لدى ناقلي اللغة :

(لا سماع ،ولا تدوين إلاّ بإحصاء ،وتقدير الشيوع)

1-فمدرسة بركاما كانت تنبذ القياس بخلاف الكوفيين ،والدليل على ذلك ما هو مكتوب في كتبهم .

2-السماع عند البصريين يماثل تماما السماع عند الكوفيين من حيث الاهتمام العظيم الذي أبداه كل واحد من البصريين والكوفيين إزاء المسموع ،ولم ينتقص سماع إحدى الفئتين عن سماع الأخرى كيفا ،وكما إلاّ بعد زمان سيبويه وعند أفراد قلائل .ويكفي للتأكد من ذلك أن نعود إلى النصوص الموثقة في اللغة،والنحو مثل كتاب سيبويه ،وكتب تلميذه الأخفش ،وأبي عبيدة ،والأصمعي ،وأبي زيد ،وأبي حاتم من البصريين ،وما وصل إلينا من كتب الفراء ،وابن السكيت ،وأبي عبيد القاسم بن سلام ،وغيرهم من الكوفيين فكلها تزخر بذكر ما سمعوه من العرب ،وفيها المصطلحات نفسها الخاصة بالسماع ،وتذكر القبائل عينها ،وكثيرا ما تذكر العبارات المسموعة نفسها منهم مثل :(هذا جُحر ضبّ خرب)،وغير ذلك كثير.

3-الفرق الوحيد الذي يلاحظه عبد الرحمن الحاج صالح يكمن في التساهل في قبول المسموع وتوثيقه عند بعض الكوفيين وهم قلة في ذلك

د-منهجية التحري .[40]

هـ-أنواع التحري .[41]

ذلك أنّ التحريات التي أجراها اللغويون في جولاتهم الأولى كانت تهدف بدون شك إلى الجمع الواسع النطاق للمعطيات اللغوية ،ولا تنحصر في البحث عن نوع واحد من المعطيات ،ولم تخص منطقة معينة وهذه التحريات المنبسطة المتسعة إلى أكثر من إقليم كالتي قام بها أبو عمرو بن العلاء ،فكان ينظر اللغوي بعد ذلك فيما جمعه من النصوص شعرا ونثرا ،وهذا يسمح له بأن يصرّح أنّ(هذه لغة كثيرة في العرب) "الكتاب :314/1.

و-تقنيات السماع [42]فقد يكون السماع على ضربين:

1-سلبيا : أي بدون من التحري يكتفي فيه السماع لما يقوله المورد ،وتسجيله فقط.

2-أونشيطا: يتدخل المتحري ،وينشط فيه فلا يكتفي بالسماع ،والتسجيل بل يبادر بإلقاء الأسئلة على المورد،ويكون ذلك حوارا

ز-تقنيات كتابة المسموع ومختلف أنظمتها في زمان التحريات [43]

الخاتمـــــــة:

بعد هذه الرحلة العلمية مع عبقرية عبد الرحمن الحاج صالح في صناعة كتابه (السماع اللغوي العلمي عند العرب ،ومفهوم الفصاحة) يمكن أن أخلص إلى جملة من النتائج :

1-أنّ من أصول البحث العلمي في التراث اللغوي كما يجب أن يكون في نظر الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح هو ضرورة الرجوع إلى ما قاله القائل هو عينه أي غلى نص قوله أو أقواله مما وثق والامتناع البات من الاكتفاء بما رُوي عنه فيما يخص الرواية ومدى ثقة الباحث فيها .

2-ضرورة الاعتداد في التصديق لما يروى من الأحداث ومن الأقوال بأن يكون من أكثر من وجه أي بالروايات الصادرة من مصادر مختلفة لا تكون منقولة بعضها عن بعض ،والرفض لكل ما ينفرد به راو إذا خالف بذلك كل الروايات الأخرى أو خالف أقوال المعني بالأمر أو أفعاله ،وكل ما تركه لنا من آثار ،ولاسيما إذا كان طعنا صريحا يمس أخلاق القائل ،وسمعته أو يحط من قيمته العلمية .

3-ضرورة الاصطفاء للمصادر وتُخيّر ما أجمع العلماء قديما وحديثا على صحته ،وعدم التخليط العلمية بين الكتب العلمية التي شهد على ذلك جميع المختصين ،وبين الكتب الشبه العلمية التي ألفت غالبا قصد التسلية ،وهي التي احتوت على كثير مما يسلو به القارئ كالحكايات ،والمسامرات ،فاختلط فيها الصحيح ،والزائف ،والحوادث الحقيقية ،والأساطير والخرافات ،ولابد من التحفظ الشديد مما ترويه ،ومما تنفرد به من الأخبار .

4- الرفض لكل مصدر نعتبره مصدرا للرواية ثم يتضح أن أكثره افتراء ،وكذب متعمد ،ولو وُجد فيه بعض ما روى في غيره ،ولاسيما إذا كان المؤلف معروفا بالسيرة الشاذة كالميل إلى المجون ،أو الأهواء أو كان معروفا بالكذب بإجماع أهل عصره.

5- التمسك بمبدأ التصفح للنص الواحد أو لعدة نصوص ليتمكن الباحث من إدراك المقصود الحقيقي في استعمال صاحب النص لألفاظ خاصة ،أو للتعليق ،أو الحكم على قول من أقواله ،مع الاعتماد بعد هذا التصفح الكامل للنص

على الطريقة التحليلية الاستنباطية التي ترمي إلى استخراج المعنى المقصود من كلمة لفظة في كل النص .

6-ضرورة التمحيص الموضوعي الدقيق للنظريات اللسانية الحديثة ،ولا يجوز أن تقبل أي نظرية كليا أو جزئيا إلا كآراء ،وافتراضات خصوصا إذا استخرجت من النظر في لغة أوروبية ،وذلك لتفادي التخليط بين المفاهيم العربية القديمة وبين ما ظهر من الأفكار ،والمناهج في اللسانيات الحادثة .

الهوامش و الإحالات:

[1] -ينظر :مقال الأستاذ محمد سيف الإسلام بوفلاقة في الشابكة (العلامة عبد الرحمن الحاج صالح وجهوده في خدمة علوم اللسان)

[2] -ينظر مقدمة الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه السماع اللغوي العلمي عند العرب ،ص7.

[3] - ينظر مقدمة المؤلف في كتابه ص9.

[4] - مقدمة الكاتب في السماع اللغوي ص 9.

[5]-ينظر مقدمة العلامة عبد الرحمن الحاج صالح في كتابه ص10.

[6]-ينظر مقدمة المؤلف في الكتاب ص.10

[7]-ينظر مقدمة المؤلف في (السماع اللغوي العلمي عند العرب)ص 11.

[8]-يراجع مقدمة الكاتب في ص11.

[9]ينظر الفصل الأول :مفهوم الفصاحة من كتابه (السماع اللغوي العلمي عند العرب)ص29

[10]-ينظر :المصدر نفسه ،والصفحة نفسها .

[11]- ينظر الفصل الثاني :المقاييس المكانية الزمانية للفصاحة السليقة ص 65.

[12]-ينظر الباب الأول من الكتاب ص 28 وما بعدها .

[13]-ينظر الفصل الثالث :المقاييس الصورية اللسانية للفصاحة ص 135.

[14]-ينظر:السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة ،ص153.

[15]- ينظر :المصدر نفســه(الباب الثاني) ص 162.

[16]-ينظر :المصدر نفســه ،الباب نفسه ص164.

[17]-ينظر خاتمة الفصل الأول من الباب الثاني من كتاب (السماع اللغوي العلمي عند العرب)ص195.

[18]- ينظر: المصدر نفســه ص 201وما بعدها.

[19]- ينظر الباب الثالث من الكتاب ص251.

[20]-ينظر الباب الثالث من السماع اللغوي ص267.

[21]-ينظر السمــاع اللغوي ص291.

[22]-ينظر:المصدر نفســه ص310.

[23]- ينظر:المصدر نفسه ص317-318

[24]-ينظر:المصدر نفسه ص325.

[25]-ينظر: المصدر نفسه ص331.

[26]-ينظر :الباب الثالث من الكتاب ص251 وما بعدها

[27]ينظر الباب الرابع من السماع اللغوي العلمي عند العرب ص337.

[28]-ينظر السماع اللغوي العلمي عند العرب ص337.

[29]-ينظر :المصدر نفســه ص347.

[30]- ينظر: المصدر نفســه ص349.

[31]-ينظر: المصدر نفســه 359

[32]ينظر :المصدر نفســه ص361

[33]-ينظر: السماع اللغوي العلمي عند العرب ،د/عبد الرحمن الحاج صالح ص361.

[34]-ينظر: المصدر نفســه ص363

[35]- يراجع المصدرنفســه ص365.

[36]- ينظر الباب الرابع من الكتاب ص 371.

[37]- ينظر المصدر نفسه والصفحة نفسها .

[38]- ينظر:المصدر نفسه الصفحة ذاتها.

[39]- ينظر: المصدر نفسه ص372.

[40]-ينظر: المصدرنفسه ص377.

[41]-المصدر نفسه الصفحة نفسها.

[42]- يراجع :المصدر نفسه ،378-379.

[43]-ينظر المصدر نفسه ص389ومابعدها .